

كتاب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ

كتاب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ

1- عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله ﷺ قال: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"

بدأ البخاري بالبسملة إقتداء بكتاب الله العزيز، ولحديث (كل أمر ذي بال لا يبدأ باسم الله فهو أبتر).

لماذا لم يبدأ البخاري كتابه بخطبة ليين مقصوده؟

فيها أقوال :

الأول: بدأ كتابه بالبسملة وأقام حديث "إنما الأعمال بالنيات" مقام الخطبة في الكتاب.

الثاني: حتى ينبه القارئ أن حديث "كل أمر ذي بال لا يبدأ بحمد الله فهو أبتر" لا يصح فلذلك لم يبدأ كتابه بالحمد والثناء.

الثالث: أن النبي ﷺ كان يكتب الكتب والرسائل إلى الملوك والقبائل ولم تكن في بدايته الحمدلة وإنما كانت الحمدلة في الخطب.

الرابع (أجود ما قيل): أنه أراد أن يجمع الأحاديث ولم يرد أن يدخل كلام من عنده فبدأ بالبسملة ثم بالخطبة (حديث إنما الأعمال بالنيات).

الخامس: قيل ربما لم يكتب الحمدلة لكنه تلفظ بها.

كتاب بدء الوحي:

جاء لها ضبطين (بدء) و (بدء)

الوحي لغة :

يقصد به الإعلام بخفاء وإن تنوعت أشكاله، وقيل الكتابة والإلهام والأمر والإيماء بدليل الكتابة تسمى وحيا أن العرب كانوا يقولون أوحى الكاتب إذا كتب، وبمعنى الإلهام في القرآن "وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإن خفت عليه فألقه في اليم"، وبمعنى الأمر "فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا"

الوحي شرعا: الإعلام بلشرع الله لتبليغه.

وقد يطلق الوحي على الفعل وعلى المبعوث به كالقرآن.

لماذا قال "باب بدء الوحي" ولم يقل "باب كيف كان الوحي"؟

كان للبخاري نظر أعظم لأنه أراد أن بين متى بدأ الوحي وكيف بدأ والكيفية داخلية في البدء.

هذا الحديث حديث عظيم عليه مدار جميع الأعمال عليه.

لماذا أورد البخاري هذا الحديث في كتاب "بدء الوحي"؟

لأسباب منها:

1- أراد أن يقيمه مقام الخطبة في كتابه لأن عمر قال هذا الحديث في خطبة على المنبر فلما صلح هذا الحديث أن يكون خطبة على المنبر صلح أن يكون خطبة للكتاب. ولكن اعترض عليه بأنه جاء بعد "باب بدء الوحي" وليس قبله.

2- أن النبي ﷺ خطب به حين قدم من المدينة مهاجراً فناسب البدء به في باب الوحي لأن الأحوال التي قبل الهجرة كالمقدمة لما سيأتي من الوحي العظيم بعد هجرة الرسول ﷺ.

3- أراد أن يبدأ الحديث بالشيء الذي لأجله بعث النبي ﷺ وهو إخلاص العبادة لله.

4- يقول الحافظ: لما كان الكتاب موسوعة لجمع وحي السنة صدره باب "بدء الوحي" ولما كان الوحي لبيان الأعمال الشرعية صدره بحديث النية.

واتفق عبد الرحمن بن مهدي والشافعي وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني والترمذي والدارقطني وحمزة الكنايني على أن هذا الحديث ثلث الإسلام.

لأن الإيمان مناطه إما على القلب أو اللسان أو الجوارح وهذا حديث قلوب فكان ثلث الإسلام، وقيل أنه تلشي الدين لأنه منوط بأعمال القلب و أعمال الجوارح، ومنهم من قال هو الدين كله لأنه منوط بأعمال القلوب واللسان والجوارح.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: ينبغي أن يجعل هذا الحديث رأس كل باب. وجاء في قوله أيضاً: يدخل هذا الحديث في ثلاثين باب من أبواب العلم. وقال الشافعي: بل يدخل في سبعين باب من أبواب العلم.

عمدة الدين عندنا كلمات أربع من كلام خير

البرية

اتق الشبهات وازهد وترك ما ليس يعينك واعملنّ

بنية

اتق الشبهات : حديث "الخلال بين والحرام بين..."

ازهد _____ : حديث "ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس"

وترك ما ليس يعينك : حديث " من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه"

واعملنّ بنية : حديث " إنما الأعمال بالنيّات..."

الشرح

"إنما الأعمال بالنيّات": لايمكن أن يكون عمل إلا بنية، صيغة حصر تفيد القصر والمقصورة على خروج الأعمال إلا بنية.

لماذا جمعت الأعمال والنيّات في هذه الرواية، وفي رواية أخرى صحيحة " إنما الأعمال بالنية"؟

لأن الأعمال مختلفة كما أن النيّات مختلفة فقابل الجمع بالجمع لتعدد أنواعه، وأفرد في الرواية الثانية باعتبار الحل فالنية محلها القلب وهو متحد فناسب أفرادها بخلاف الأعمال فإنها متعلقة بالظواهر وهي متعددة فناسب جمعها، وقيل أن النية يفترض أن ترجع إلى الإخلاص ومردّها واحد وهو الله سبحانه وتعالى.

- إنما تفيد الاستغراق لكن هل تدخل أعمال الكفار في الحديث: الظاهر عدم دخول أعمال الكفار ولا تصح عنهم لأن لهم نية وثواب في الآخرة.

- بالنيّات الباء تفيد معينين إما المصاحبة بمعنى لا بد أن تعمل العمل وأنت مستصحب للنية؛ فالنيّ في أول العمل ركن واستصحابها للعمل شرط بحيث لا يأتي بما يناقضها أثناء العمل. أو تكون للسببية وهذا دليل على أن خروج العمل نتيجة للنية. وهذا يرد على من ابتلي بالوسواس فخروجه للمسجد ووضوءه يدل على نيته للصلاة.

- النيات النية لغة: هي القصد.

إصطلاحاً: عزيمة القلب على فعل الخير.

ويختلف النية باختلاف المعرف لها؛ فأهل الفقه يرون أن النية هي القصد وعزيمة القلب على فعل العمل. وأهل العقيدة يرون أن النية أن يبتغي بها الأجر عند الله. فمدار تعريف الفقهاء أن النية سبب لتمييز أعمال الجوارح ومدار تعريف أهل العقيدة أن النية أصل لأعمال القلوب.

" وإنما لكل إمري مانوى " : القرطبي يقول: أن هذه الجملة مؤكدة لما قبلها.

والراجح أن هذه الجملة أنها أفادت التأسيس وليس التأكيد وأنها أفادت غير

مأفادته الأولى. فالأولى أفادت صحة العمل لا تكون إلا بنية، أما الجملة الثانية فأفادت جزاؤه مما عمل.

هل التروك تحتاج إلى نية أم لا؟

التروك الجرد لا يحتاج إلى نية لأنه لا ثواب فيه، وإنما يحصل الثواب بالكفّ الذي هو فعل النفس فمن خطرت بباله المعصية ثم دفعها فهذا يثاب على تركه.

هذا الحديث ينبه إلى أصل عظيم في الدين وشرط لقبول العمل وهو الإخلاص :

ومدار تعريف أهل العقائد للنية قائم على الإخلاص..

فمن تعاريفهم: تطلق النية

-ويقصد بها تجريد قصد التقرب إلى الله عز وجل من جميع الشوائب "ابن القيم".

-إخلاص الله عز وجل بالقصد في الطاعات.

- قصد العبادة.

- قصد المعبود.

لذا كانوا يقولون عبادات أهل الغفلة عادات وعادات أهل الطاعة عبادات.

الإخلاص : هو تصفية العمل من كل شوب.

ما أهمية الإخلاص ؟

1- في القرآن والسنة أن الله أمر به يقول تعالى: "قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت أن

أكون من المسلمين" " وماأمرُوا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء".

يقول ابن رجب ~ في شرحه: وهذا يجري على كل أمر من الأمور وهو أن حظ العامل من عمله نيته وأنه ما يحصل له من عمله إلا ما نواه به فإن نوى خيرا حصل له خير وإن نوى شرا حصل له شر.

وقال الإمام الشوكاني : حصول الأعمال وثبوتها لا يكون إلا بنية، فلا ثبوت ولا حصول إلا بنية.

وفي السنة يقول النبي ﷺ من " صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ،

ومن قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه"

كان ابن مسعود يقول: لا ينفع قول إلا بعمل ولا ينفع عمل إلا بنية ولا تنفع قول ولا عمل ولا نية إلا بما وافق السنة.

يقول تعالى "والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا

ووجد الله عنده فوفاه حسابه"

2- أن المرء يبلغ بنيتته ما لا يبلغه بعمله. والدليل حديث " من همّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة" وحديث " من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم الليل فنام عن ورده كتب الله له أجر القيام وكان نومه عليه صدقة" وحديث " من سأل الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه".

3- أن الأعمال البدنية قد تتوقف لكن النية لا تتوقف. لحديث" من مرض أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيحا مقيما" وحديث "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية" .

4- أن النيات تميز الأعمال بعضها عن بعض، فيرفع الله صاحب النية الحسنة إلى أعلى الدرجات ويهوي بصاحب النية الفاسدة إلى أسفل سافلين .
حديث " أول من تسعّر بهم النار ثلاثة قارئ ومجاهد ومنفق.....".

5- أن النبيّ تربي الإنسان على اليقظة وعدم الغفلة لقوله تعالى: " ولقد ذرأنا لجهنم كثير من الجنّ والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلّ أولئك هم الفاسقون". فالنية تعالج الغفلة.

6- ينقسم الناس في النية إلى أربعة أقسام :

الأول: أهل الإخلاص للمعبود والمتابعة وهؤلاء هم أهل (إيّاك نعبد وإيّاك نستعين).

ويقول تعالى: (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) قال القاضي عياض : أخلصه وأصوبه.

الثاني: لا إخلاص ولا متابعة وهؤلاء هم شرار الخلق وأمقتهم إلى الله عز وجل.

الثالث: مخلص في أعماله لكنه غير متابع لهدي رسول ﷺ وهؤلاء من العباد

والمنتسبين إلى الزهد وأهل التصوف وهؤلاء عملهم مردود.

الرابع: ظاهر أعماله المتابعة لكن في باطنه قصد به غير الله عز وجل فعمله مردود.

مفاهيم خاطئة في الإخلاص:

- ظنّ أن الثواب الأخروي يقدر في النية فيه وهذا من بدع المتصوفة فكانت رابعة العدوية تقول :
"ماعدته خوفا من ناره ولا حبا في جنته فأكون كأجير السوق بل عبته حبا له وشوقا إليه"
وكان يقول غويلم الصوفي :الإخلاص أن لا يريد على عمله عوضا في الدارين ولا حظا من الملكين.
الصحيح: كان ابراهيم عليه السلام يقول " واجعلني من ورثة جنة النعيم" وقال تعالى "إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين" وقال الله تعالى عن عباد الرحمن: "ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما".

مظاهر الإخلاص:

1- الخوف من الشهرة والعمل في صمت بعيدا عن الأضواء لأن المخلص يوقن أن الثواب عن الله على السرائر لا على الظواهر، وكان أيوب السخيتاني يقول: ما صدق الله عبد إلا سره أن لا يشعر أحد بما فعل.

يقول عبدالله بن مسعود: كونوا ينابيع العلم مصاييح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلاقان الثياب تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض. وليس معناه العزلة والإنطوائية لكن الأمر المذموم هو أن يطلبها الإنسان بعمله والتصدر في المجالس قال رسول الله ﷺ "إياكم والمذابح" يعني الخارِب لأنها قد تدخل في نيات العبد وتقلب هذه النيات عليه.

2- اتهم النفس بالتفريط في جنب الله والتقصير في أداء الواجبات، سألت عائشة الرسول ﷺ عن قول الله تعالى "والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون" هل هم الرجل يزني ويسرق؟ قال: لا الرجل يصلي ويتصدق ويحشى أن لا يتقبل الله منه. تنبيه: العمل من أجل الناس شرك وترك العمل من أجل الناس رياء، يقول الفضيل بن عياض: والمهم أن يعافيك الله منهما فحرر النية واقدم على العمل.

3- أن لا يطلب المدح بالعمل ولا يعأ به، فأبو بكر لما مدح قال: اللهم لاتواخذي بما يقولون واجعلي خيرا مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون. فالتمادح في الوجوه منهي عنه قال النبي ﷺ "إياكم والتمادح فإن المدح هو الذبح" وجاء "احثوا في وجوه المدّاحين التراب" فجأت الأحاديث بصيغ المبالغة (تمادح) (مدّاحين) أي المقصود المدح المبالغ فيه.

4- أن لا ييخل بمدح من يستحق المدح، مدح بما يستحقه. فالرسول ﷺ كان يمدح الناس بما فيهم فقال عن خالد بن الوليد سيف من سيوف الله، وقال عن أبي عبيدة أمين هذه الأمة، وقال لعمر لوسلكت فجا لسلك الشيطان فجا آخر، وقال لأبي بكر لو كنت متخذ خليلا لأتخذت أبو بكر خليلا، وقال أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأصدقهم في الحياء عثمان، وأعلمهم بالحلل والحرام معاذ.

5- الإحتفاء برضا الله لا برضا الناس.

ليتك تحلو والحياة مريـــــرة وليتك ترضى والآنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبينني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل.... وكل ما فوق التراب تراب

6- أن يكون حبه ورضاؤه ووعطاؤه ومنعه وسخطه وغضبه كله لله
ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون.

7- الصبر على طول الطريق. والله سبحانه لا يستل الأنبياء عن عدد أتباعهم ولكن يستلهم عن تبليغ
الرسالة يقول الرب جل وعلا (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) (ومن يرد الله فتنته فلن
تملك له من الله شيئاً)

8- الفرح بكل كفاية تخرج للساحة.

9- الحرص على العمل الأنفع.

ما حكم العمل المشوب بالرياء؟

يقول ابن القيم : "اعلم أن العمل لغير الله أقسام:

الصورة الأولى : تارة يكون رياء محضاً بحيث لا يراد سوى مرئيات المخلوقين وغرض دنيوي
كحال المنافقين، وقد أخبر الله عنهم (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا
يذكرون الله إلا قليلاً).

الصورة الثانية : يكون العمل لله ويشاركه الرياء إذا كان في أصل العمل فالنصوص الصحيحة
تدل على بطلانه ففي الحديث القدسي (أنا أغنى الشركاء عن الشرك) (من عمل عملاً أشرك معي فيه
غيري تركته وشركه) وفي الحديث (من رأى راعى الله به ومن سمع سمع الله به)
الصورة الثالثة : إذا كان أصل العمل لله ثم طرأت عليه نية الرياء.
- فإذا كان عارضاً ودفعه فلا يضره بإذن الله.
- أما إذا استرسل في الرياء فيه خلاف بين السلف:

- الإمام أحمد وابن جرير الطبري: أرجو أن لا يبطل عمله وأن

يجازى بنيته الأولى.

- وجاء ان هذا العمل يبطل لأنه استرسل بنية سوء.

- فصل البعض الآخر في هذه المسألة فقال:

- إن كان عمل يرتبط آخره بأوله كالصلاة والصيام والحج فإنه يبطل

- وإن كان عمل لا ارتباط فيه كالقراءة والذكر وإنفاق المال ونشر العلم

فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه ويحتاج إلى لتجديد النية.

لماذا لم يورد البخاري جملة " فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله؟"

الجملة صحيحة وعلى شرطه وأخرجها في باب آخر لكن حذفها لأقوال:

1- حذف الجملة التي تُشعر بالتركية وترك الجملة التي لا تُشعر بالتركية.

2- جرت عادة المصنفين أن يكتبون منهجهم في التأليف في مقدمة الكتاب والبخاري لم يكتب منهجه وإنما

أورد حديث يدل على منهجه في التأليف : فالبخاري يرى جواز اختصار الحديث، وجواز الرواية بالمعنى، وجواز الحذف.

جرت العادة أن يكون جواب الشرط مغاير لفعل الشرط -يقال من أطاع نجا - لكن لماذا أتى الشرط جزاءوه واحد "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله"؟

الجواب: جاء التغيرات بالإضمار والتقدير فالعرب تقول أن التغيرات يقع تارة في اللفظ وهذا الأغلب وتارة يأتي على الإضمار ويفهم من السياق - من أطاع أطاع لنفسه- وفيه شد لانتباه السامع لاستنباط المعنى الدقيق وهذا موجود في القرآن يقول الرب عز وجل: "ومن تاب صالحا وعم فإنه يتوب إلى الله متابا"

فمعناه أن من كانت هجرته إلى الله ورسوله قصدا فإن هجرته إلى الله ورسوله ثوابا.

"فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها"

الدنيا سميت دنيا قيل لدنائها وقيل لدنوها من الناس فهم يعيشون فيها قبل الآخرة.

يصيبها : أن يحصل عليه والمعنى أن من حصل عليه حصل له الألم الذي يصيب القلب عند تعلقه بالدنيا

"أو امرأة ينكحها "

لماذا ذكر المرأة بعد الدنيا؟

فيها أقوال :

1- لمراعاة لسبب ورود الحديث لمهاجر أم قيس لكن لم يرد أنه بعد ذكر مهاجر أم قيس ورد حديث "إنما الأعمال بالنيات".

2- ذكر خاص بعد عام لمزيد اهتمام به وفي هذا مزيد تحذير من المرأة لأن الافتتان بها أشد وفي الحديث (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء).

3- أنه كان من عادة العرب أن لا يزوجون المولى بالعربية لأنهم كانوا يراعون الكفاءة في النسب فلمّا جاءت الهجرة ألغى الإسلام الفوارق بين العباد وجعل الكفاءة في الدين فهاجر أقوام ليتزوجوا من ذوات نسب عالي.

الهجرة لغة: الترك.

وتطلق على معاني عدة:

- الهجرة من الكفر إلى الإسلام.
- الهجرة الذنب إلى التوبة، وهجر المعصية إلى الطاعة.
- الهجرة من بلد الخوف إلى بلد الأمن.
- الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام.

لماذا لمّا جاء إلى هجرة الله ورسوله ذكرها مرة أخرى "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله" ولمّا جاء ذكر الدنيا ذكر الضمير "فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها" ؟

1- لأن الإتيان بالضمير أعم من التخصيص.

2- لأن في ذكر الله تلذذ بالذكر والإعراض عن ذكر الدنيا تحقير وإعراض عنها.

فوائد الحديث:

- 1- أهمية النيّات في الأعمال.
- 2- أهمية الإحتساب في عادات العبد حتى تكون له عبادات.
- 3- زيادة النص على السبب.
- 4- إطلاق العام وإن كان سببه خاص لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.
- 5- أن هذا الحديث لا بد أن يقرأ الإنسان في شرحه ويتعلمه لأنه أصل من أصول الدين ويدخل في كثير من أبواب العلم.